قرامطة الشام ومعادلة المواجهة مع الخلافـــة العباســـــية من خلال تاريخ الطـــــــبري

أ.هنية صالح خليفة ميلاد *ـ كلية التربية الزهراء- جامعة الجفارة -
akklyjny@gmail.com

تاريخ الاستلام 13/ 2 / 2025 تاريخ القبول 10/ 8 /2025م

The Qarmatians of the Levant and the equation of confrontation with the Abbasid Caliphate through the history of Al-Tabari

Al-Jafara University
Abstract:
Al-Zahraa College of Education
*Haniea Saleh Khalifa Milad akklyjny@gmail.com

The Qarmatians are an esoteric movement that rebelled against its leadership, as it seems that the political dimensions overshadowed the religious aspects, although its leaders were extremists in their religious views related to Islamic law. Given the expansion of the Qarmatian movement in many regions, each group was classified according to the region in which it had strong influence, such as the Qarmatians of Yemen, the Qarmatians of Bahrain and Iraq, and the Qarmatians of the Levant (the subject of the research). Zakruiyeh was the founder of the Qarmatian movement in the Levant, where he and his sons established a military force that played a pivotal role in spreading chaos, wars, and destruction in one of the most prominent regions of the Islamic world. They were distinguished by sectarian extremism, not religious extremism, as they were innocent of their actions, and their behavior and ideas were based on fighting, cunning, deception, and political malice in order to seize power, as they relied on looting, destruction, and killing innocents as soon as they disagreed with them or opposed their deviant ideology. Even the Hajj caravans were not spared from their attacks, however, their movement quickly collapsed in the face of the combined efforts of the forces hostile to them and then they were eliminated, specifically during the rule of the Abbasids and specifically during the rule of the Caliph (Al-Muktafi Billah)(289- 296AH) who used all the possibilities to eliminate them after repeated and violent military

confrontations in which he was able to kill Zakruyah, the leader of the Qarmatians of the Levant. Thus, this black page was turned and ended.
Key words: The Qarmatians of the Levant- the Abbasid Caliphate - Al-Tabari- Zakruiyeh- the Caliph Al-Muktafi Billah .

الملخـــص:

تُعدّ القرامطة جماعة باطنية تمردت على قيادتها، ويبدو أن الأبعاد السياسيَّة قد طغت على الجوانب الدينية، رغم أن قادتها كانوا متشددين في آرائهم الدينية المتعلقة بالشّريعة الإسلاميّة، ونظرًا لتوسع حركة القرامطة في مناطق متعددة تمَّتصنيف كل مجموعة وفقًا للمنطقة التي كان لها فيها نفوذ قوي، مثل قرامطة اليمن، وقرامطة البحرين، وقرامطة العراق، وقرامطة الشّام (موضوع البحث).

كان زكرويه مؤسس حركة القرامطة في بلاد الشام، حيث أسس هو وأبناؤه قوة عسكرية لعبت دورًا محوريًا في نشر الفوضى والحروب والدَّمار في واحدة من أبرز مناطق العالم الإسلامي، وقد تميزوا بالتطرف المذهبي وليس الديني، إذ أن الدين براء من أفعالهم. كانت تصرفاتهم وأفكارهم قائمة على القتال والمكر والخداع والخبث السياسي من أجل الوصول إلى السلطة، حيث اعتمدوا على النهب والخراب وقتل الأبرياء لمجرد اختلافهم معهم أو معارضتهم لفكرهم الضال، حتى قوافل الحجيج لم تسلم من اعتداءاتهم، ومع ذلك انهارت حركتهم بسرعة أمام تضافر القوات المعادية التي سعت للقضاء على خطرهم الكبير خلال فترة حكم العبّاسيين، وخاصة في عهد الخليفة المكتفي بالله (289-295ه)الذي استغل جميع الإمكانيات للقضاء عليهم، وبعد مواجهات عسكرية متكررة وعنيفة، تمكن من قتل زكرويه زعيم قرامطة الشّام، وبذلك طويت هذه الصفحة السَّوداء وانتهت.

الكلمات المفتاحيـــــة: قرامطة الشّام، الدّولة العباسيّة، الطّبري، زكرويه، الخليفة المكتفي بالله.

المقدمـــــــــة:

الإسماعيلية تُعد واحدة من الفرق الباطنية، وتتوافق مع الشيعة الاماميَّة (الاثنا عشرية) في صحة إمامة الأئمة الستة الأوائل، بدءًا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصولًا إلى جعفر الصادق. ومع ذلك، نشأ الخلاف بين الفريقين حول أي من أبناء جعفر هو الأحق بالإمامة: موسى الكاظم أم إسماعيل؟ حيث اتبع الشيعة الامامية موسى، بينما اختار الإسماعيلية إسماعيل ومن بعده ابنه محمد، مما أدى إلى تسميتهم بالإسماعيلية.

انطلقت الدعوة الإسماعيلية من سواد الكوفة في العراق ومن سلّمية، مركز الدعوة في بلاد الشام، وانتشرت في العديد من مناطق العالم الإسلامي بفضل دُعاتها الذين كانوا يمثلون الأئمة الإسماعيليين. ومع ذلك، انحرف بعض هؤلاء الدعاة عن المبادئ المعتدلة التي دعا إليها الأئمة الإسماعيليون الأوائل. ومن أبرز هؤلاء حمدان قرمط، زعيم القرامطة، التي تُنسب إليه الحركة. تُعد القرامطة فرقة باطنية تمردت على قيادتها، ويبدو أن التوجه السياسي قد طغى على التوجه الديني، رغم أن دعاتها كانوا متطرفين في آرائهم الدينية المتعلقة بالشريعة الإسلامية.

نظرًا لأن حركة القرامطة انتشرت في مناطق واسعة ومتعددة، فقد تم تصنيف كل مجموعة وفقًا للمنطقة التي كان لها فيها نفوذ قوي، مثل قرامطة اليمن، وقرامطة البحرين، وقرامطة العراق، وقرامطة الشام - وهو موضوع البحث الحالي.

كان زكرويه المؤسس لحركة القرامطة في بلاد الشام، وقد شكل هو وأبناؤه قوة عسكرية لعبت دورًا حاسمًا في إثارة الفوضى والحروب والدّمار في واحدة من أهم مناطق العالم الإسلامي، وتميزوا بالتطرف المذهبي، ولا أقول الديني؛ لأن الدِّين براء منهم، وفي الواقع كانت أفعالهم وأفكارهم قائمة على القتال والمكر والخداع والخبث السِّياسي من أجل الوصول إلى السّلطة، واعتمدوا على النهب والخراب وقتل الناس لمجرد أنهم خالفوهم أو واجهوا فكرهم الضال، حتى قوافل الحجيج لم تسلم من اعتداءاتهم. ومع ذلك، انهارت حركتهم بسرعة أمام تكاتف القوات المعادية التي سعت للقضاء على خطرهم الكبير خلال حكم العباسيين، وخاصة في فترة الخليفة المكتفي بالله الذي استثمر كل الإمكانيات للقضاء عليهم. بعد مواجهات عسكرية متكررة وعنيفة، تمكن من قتل زكرويه، زعيم قرامطة الشام، وبذلك طويت هذه الصفحة السوداء وانتهت.

ومن منطلق هذه الاهمية جاء اختيار عنوان البحث (**قرامطة الشام ومعادلة المواجهة مع الخلافة العباسية من خلال تاريخ الطبري**) .

وقد ثم اختيار موضوع (قرامطة الشام) على وجه الخصوص **لسببين** :

أولهما / أنّ هذا البحث يجمع بين الجانبين العسكري والسياسي للدولة العباسية .

وثانيهما / استيفاء الطبري المتوفي سنة (ت310هـ/922م) لهذه الفترة حتى النهاية سنة (294هـ/906م) ، قبل اخر تدوين له سنة (302هـ/914م) .

مشكلة البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى دراسة حركة قرامطة الشام من خلال تحليل تاريخ الطبري، حيث تُعد دراسة الموضوعات التّاريخية عبر المصادر المعاصرة للحدث، سواء من حيث الزمان أو المكان، ذات أهمية كبيرة، فتناول مثل هذه الموضوعات يكشف لنا عن حقائق وأحداث تاريخية هامة، حيث كان للفكر السِّياسي والاجتماعي والطّائفي دور بارز وخطير في العالم الإسلامي، ولا تزال آثار هذا الدور تؤثر بشكل كبير على الأمة العربية والإسلامية حتى يومنا هذا.

ومن خلال طرح الإشكالية التالّية: ما مدى الارتباط بين الأهداف التي أعلنتها حركة قرامطة الشام والأفعال التي قامت بها، وما هي الانعكاسات الناتجة عن ذلك على الخلافة العباسية وموقفها تجاه هذه الحركة؟.

ولتوضيح ذلك، تم تقسيم هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. تضمن التّمهيد لمحة عن الأوضاع السّياسية والاقتصادية للخلافة العباسيّة قبل بروز القرامطة. أما المبحث الأول، فقد تناول الجذور التّاريخيّة لقرامطة الشام، في حين استعرض المبحث الثاني عائلة زكرويه والمواجهة العسكرية مع الخلافة العباسية. كما شمل المبحث الثالث ظهور زكرويه واستهداف قوافل الحجيج. وفي الخاتمة، تم عرض أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

اتبعت الباحثة المنهج التّاريخي الذي يعتمد على تتبع الروايات التاريخية من المصادر الأصلية، ثم قامت بتحليلها باستخدام مهارات التفسير والنقد والاستنباط، بهدف الوصول إلى فهم دقيق حول نشأة هذه الحركة وتأثيراتها على الواقع السياسي للدولة العباسية.

تمهيد ـ نظرة على الأوضاع السياسية والاقتصادية للخلافة العباسية قبل ظهور القرامطة:

في العصر العباسي الثّاني، كانت الخلافة العباسية تعاني من ضعف وتفكك ملحوظين، حيث تمكن الأتراك من السيطرة الكاملة على مقاليد الأمور. ولإرضائهم، منحهم الخلفاء الإقطاعات والأموال، مما جعل الخليفة العباسي ألعوبة في أيديهم، فيعينون ويعزلون ويقتلون الخلفاء وفقاً لمصالحهم.

تغطي فترة البحث الفترة الزّمنية التي تبدأ من أواخر حكم الخليفة المعتضد بالله (279-289هـ/892-901م) وتستمر حتى عهد الخليفة المكتفي بالله (289-

295هـ/901-907م). وقد عاصر المكتفي القرامطة في الشام، بل كان له دور بارز في مواجهتهم، حيث تمكن من القضاء على مؤسس حركتهم.، فقد
استمرت فترة خلافته ست سنوات ونصف، قضى معظمها في مواجهة القرامطة والثورات، في وقت شهدت فيه الدَّولة ظهور دول مستقلة تماماً أو جزئياً، مع الاعتراف بالسلطة الاسمية للخلافة فقط، مما أدى إلى انتشار الفوضى داخل الدَّولة.(فاروق)

تأثرت الأوضاع الاقتصادية بشكل كبير نتيجة هذه الأزمات السّياسيّة، حيث تركت هذه الأزمات أثراً عميقاً، مما أدى إلى اندلاع أحداث شغب كوسيلة للتعبير عن السّخط والغضب، إذ كان النّاس الأكثر تضرراً من هذه الأزمات. وكان الغلاء هو السبب الرئيسي لثوراتهم، حيث كان هدفهم الأساسي هو الحصول على لقمة العيش لتلبية احتياجاتهم، على سبيل المثال، في عام (272هـ/885م)، ثار الناس بسبب الغلاء وقرروا محاربة الطائي[1]، الذي اتهموه بأنه السبب وراء ارتفاع الأسعار، وتوجهوا من مسجد الجامع إلى منزله بين باب البصرة وباب الكوفة، وجاءوا من ناحية الكرخ، فقام الطائي بإرسال أصحابه إلى السطوح لرميهم بالنشاب، بينما وقف رجاله بالسِّيوف والرِّماح في فناء داره لحماية أنفسهم، وأسفر القتال عن مقتل وجرح العديد من العامة، واستمر لعدة أيام حتى تدخل محمد بن طاهر، أحد القادة، لتهدئة الأوضاع.(الطّبري: 12،1998/202).

وفي الوقت نفسه، كانت حركة الزنج[2] تُعد من أخطر الثورات التي هددت الخلافة العباسية، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية، وساهم في إضعافها.

ظهر رجل يدعي النسب العلوي، وهو من أصول فارسية إيرانية، وُلد في الري، يُدعى علي بن محمد الفارسي. كان شخصية غامضة ومتقلبة، لكنه اتسم بالطموح والذكاء والموهبة. في البداية، توجه إلى شرق الجزيرة، حيث تمكن من قيادة جموع انبهرت بأفكاره حول تطبيق العدالة الاجتماعية. حاول استغلال دعم الشيعة ومساندتهم بين الناس، حتى أن أتباعه جعلوه في مرتبة النبي، وجمعوا له الخراج في البداية. ومع ذلك، تنكرت له مجموعة كبيرة من البحرانيين، مما دفعه إلى مغادرة المنطقة نحو البادية لاستقطاب الأعراب، فتجمع حوله الكثير منهم.

سعى للسيطرة على السلطة مستغلاً الاضطرابات السياسية التي كانت سائدة في تلك الفترة، لكنه لم ينجح في مسعاه. لذا، عاد إلى جنوب العراق في عام

(255ه/869م) ليبدأ تنفيذ خطته في استمالة العبيد ليكونوا قوة عسكرية لثورته. اعتمد في ذلك على أفكار العدالة الاجتماعية واحتياجاتهم المعيشية، وحثهم على ضرورة التحرر من الذل والخنوع، مما مكنه من جذب العديد منهم. كما استغل مشاعرهم من خلال إطار ديني وشرعي، منادياً بتطبيق الإسلام الحقيقي الذي أوصى بالعبيد خيراً. وقد عبّر عن ذلك لأسياد العبيد بقوله:" قد أردت ضرب اعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان (الزنج)، الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم ان تفعلوه بهم وجعلتم ليهم ما لا يطيقون فكلمني أصحابي فيكم ، فرأيت إطلاقكم " (الطبري، 1998م، 40/12) .

كما نقل الطبري بعض هذه الخطب قائلا:" نادى في اصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ...وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وان الله قد استنقدهم به من ذلك، وأنه يريد أن يرفع اقدارهم ، ويملكهم العبيد والاموال والمنازل، ويبلغ بهم اعلى الامور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته ، أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لافهم له من عجمهم لنطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك ". (الطبري،1998م،45/12) .

نقل الطبري بعض الخطب التي وجدها في الجماعات المحيطة بالبصرة، والتي كانت تتكون في مجملها من عبيد يعيشون في ظروف مأساوية من الفقر والبؤس. حاول الطبري جذب هؤلاء الناس، لكنه تعرض للطرد، مما دفعه للتوجه نحو بغداد. هناك، ادعى أنه ينتمي إلى النسب العلوي، فانتسب إلى أحمد بن عيسى بن زيد، ثم زعم أن اسمه يحيى بن زيد بن علي. ومع ذلك، أنكر الطبري نسبه العلوي، مشيرًا إلى أنه انتحل هذا النسب ليضفي على حركته طابع الشرعية ويجذب الشيعة. ذكر الطبري :" لان الاجماع في يحيي أنه لم يخلف الا بنتا ماتت وهي رضيعة .(الطبري، 1998م،12/90-91)، ومن خلال هذا التخطيط استطاع أن يشكل قوة كبيرة استمرت لأكثر من أربعة عشر عامًا، من عام (255هـ/868م)حتى القضاء عليها في عام (270هـ/883م)، وخلال هذه الفترة، ارتكب الزنج أبشع المجازر، مما أرهق الدولة العباسية لفترة من الزمن وتسبب في انتشار الفوضى في جنوبي العراق، وهذا يعني أن الظروف الاقتصادية والسّياسية والأمنية المتدهورة قد أوجدت فرصة لانتفاضة القرامطة، نتيجةً لهذا الوضع الصَّعب، تمكنت دعوتهم من تنظيم أتباعها، مما ساعد على جعل سواد العراق بؤرة ملائمة لنشوء حركة القرامطة[3].

فمن هم القرامطة؟ وما علاقة قرامطة الشام - موضوع البحث بقرامطة العراق ؟

المبحث الأول ـ الجذور التاريخية لقرامطة الشام [4]:

مرّ نشاط قرامطة العراق بمرحلتين رئيسيتين، حيث شهدت الفترة بينهما توقفًا تزامن مع نشاط قرامطة الشام. بدأت الحركة في سواد[5] العراق على يد رجل قدم من خوزستان، ثم انتقلت إلى بلاد الشام، أشار الطبري إلى أن بداية أمرهم كانت في سنة (278هـ)، حيث وردت أنباء عن تحركاتهم، وقد بدأ ذلك على يد رجل قدم من خوزستان إلى سواد الكوفة، واستقر في مكان يُعرف بالنهرين، حيث كان يُظهر الزهد والتقشف ويكثر من الصّلاة. وأعلن أن الصّلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة، وأنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم(الطبري، 1998م، 12/209-210).

فمن هم القرامطة ؟

سبب التسمية ينسبها الطبري إلى صاحب الدعوة الاول اذ يقول ان اسمه (كرميت) التي خففت إلى قرمط[6] فقد نقل عن محمد بن داود أنه قال:" قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثوار له ، يسمى حمدان ويلقب ب "قرمط"، ثم فشا أمر القرامطة ومذهبهم وكثروا بسواد الكوفة "

يبدو من الصعب تحديد مذهب للقرامطة، فعند متابعة أخبارهم نلاحظ وجود ازدواجية في العديد من توجهاتهم. فقد انحرف دعاة هذه الحركة عن الكثير من المبادئ التي أُسست من أجلها، بدءًا من شعار الدعوة إلى آل البيت كما هو في المعتقد الإسماعيلي، ثم تحولها إلى حركة سياسية بعيدة عن الدين، حيث كان جُل اهتمامهم منصبًا على السّلطة والنّهب، والواقع أنه لم يكن للقرامطة عقيدة ثابتة يدينون بها(الطبري، 1998م،12/210)، فقد كانت عقيدتهم تهدف إلى تحقيق رغباتهم وتلبية شهواتهم، ومع ذلك، كانوا يروجون لبعض الأفكار ليظهروا أنهم يعملون من أجلها لكسب تأييد الآخرين. ويظهر تشابه كبير مع أفكار صاحب الزنج المذكور سابقًا، حتى إن مسألة التحالف مع الزنج أثيرت بجدية، ولكن بسبب الاختلاف المذهبي، لم يكتمل هذا التحالف.

ينقل لنا الطبري رواية سلف زكرويه نقلا عن قرمط أنه قال: " صرت إلى صاحب الزنج ، ووصلت إليه، وقلت له: إني على مذهب، ووراءي مائة ألف سيف، فناظرني ، فإن اتفقنا على المذهب ملت بمن معي إليك، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك . وقلت له : تعطيني الأمان ؟ ففعل .قال : فناظرته إلى الظهر، فتبين لي في

آخر مناظرتي إياه أنّه على خلاف أمري ، وقام إلى الصّلاة ، فانسللت ،فمضيت خارجا من مدينته ، وصرت إلى سواد الكوفة " (الطبري: 1998م،211/12) .

بمجرد أن بدأ القرامطة في تنظيم دعوتهم، عملوا على جمع أكبر عدد ممكن من المؤيدين لتعزيز قوتهم، وقد ذكر الطبري أن قرمط كان يأخذ من كل رجل يدخل في دينه ديناراً، مدعياً أن ذلك يعود للإمام. كما تظاهر بالزهد والورع والتقشف، وتحدث مع أتباعه عن الصلاة وواجباتها، ثم أخبرهم بأنه يدعو إلى إمام من أهل البيت. ونتيجة لذلك، تجمع حوله عدد كبير من الناس، فاختار منهم اثني عشر نقيباً، وأمرهم بدعوة الآخرين إلى دينهم، قائلاً لهم: "أنتم كحواريي عيسى ابن مريم". (الطبري، 1998م، 12/ 210) .

وبعد أن تأكد حمدان من نجاح دعوته، بدأ في إباحة ترك الفرائض الدِّينية مثل الصَّلاة والصَّوم والحج والجهاد لأتباعه. كما قام بتأويل النُّصوص، مدعياً أن هناك ظاهراً يعرفه الجميع وباطناً لا يعرفه إلا الإمام نفسه، الذي يُعتبر مصدر العلم، وأظهروا بعض الأفكار والآراء التي يدّعون أنهم يناضلون من أجلها، فقد أعلنوا أنهم يقاتلون من أجل آل البيت، مستندين إلى بعض الكتب التي قدموها لإثبات صحة ادعاءاتهم. ومن بين هؤلاء، زعم الفرج بن عثمان، الذي ينتمي إلى قرية النَّصرانية، أنه داعية للمسيح عيسى، وأنَّه المهدي المنتظر، وأيضًا أحمد بن محمد بن الحنفية، بل وادعى أنه جبريل عليه السلام. وقد عرّف الصَّلاة بأنها أربع ركعات: ركعتان قبل شروق الشمس وركعتان قبل غروبها، وحدد القبلة بأنها بيت المقدس، والحج أيضًا إلى بيت المقدس. كما اعتبر أن الأهلة تُستخدم لمعرفة عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وفيما يتعلق بالصيام، فقد حددوه بيومين في السنة، هما يوم المهرجان والنوروز[7]، وهما من أعيادهم ومن عقائدهم أيضًا تحريم النبيذ وإباحة الخمر، وعدم وجوب الغسل من الجنابة، حيث كانوا يكتفون بالوضوء كوضوء الصلاة (الطبري، 1998م،210/12-211)، ومن خلال هذه العقائد، قاموا بإلغاء أو تحريف الأحكام الأساسية في الإسلام، مثل الصّوم والصّلاة وسائر الفرائض، بما يتماشى مع مصالحهم الشّخصية.

يُلاحظ في هذا الكتاب الإشارة إلى أحمد بن محمد بن الحنفية باعتباره، وفقًا لادعاءاتهم رسول الله، وهو ما يتعارض مع معتقدات الإسماعيلية والقرامطة على حد سواء، وهذا يدل على أنهَّم لا يترددون في استخدام أي وسيلة للخداع واستقطاب الأتباع. من المعروف أن هناك العديد من الأشخاص في الكوفة يقدسون ابن

الحنفية، مما جعل هذه الوسيلة تتناسب مع المعتقدات السائدة في تلك المنطقة. وقد انتشر عنهم في مختلف الأماكن استخدام ما يتماشى مع ميول كل طائفة لكسب أكبر عدد من الأنصار.

ومع تمكنهم، كشفت أفعالهم عن خبث أفكارهم وتطرفهم، وسنرى جرائمهم تجاه آل البيت، خاصة عند بدء تحركاتهم العسكرية، كما يتضح لنا الآثار الاجتماعية الخطيرة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت، والهوة العميقة التي تفصل بين أفراد المجتمع نتيجة الغزو الفكري المتطرف لعقول الناس، وخاصة فئة الشباب. هذا أدى إلى ارتباك فكري ترك أثره على تعامل الناس مع بعضهم البعض، بل حتى على تفاعل أفراد الأسرة الواحدة. وقد تجلى هذا بوضوح خلال أول تحرك عسكري للقرامطة، حيث تمكنت أفكارهم الهدامة من التأثير على عقول بعض الشباب، ليصبحوا أدوات بلا عقل أو إرادة في يد زعماء القرامطة.

ذكر الطبري قصة نراها مناسبة في هذا السِّياق، حيث نسعى لفهم انحرافهم المذهبي الذي أدى بهم إلى حالة من التغييب التام، وقعت هذه الأحداث بعد استيلاء قرامطة الشام على مدينة سلّمية وإبادتهم للهاشميين الذين كانوا فيها، وقد نقلت القصة عن طبيب في منطقة المحول يُدعى أبا الحسن، حيث جاءت إليه امرأة تعاني من جرح أصاب ابنها وكان من الصعب علاجه. روت له قصتها أثناء بحثها عن ابنها الذي أغواه القرامطة، وبعد أن وجدته وتحدثت معه، قالت: " ...فجعل يسألني عن أخبارنا فخبرته ، ثم قال : دعيني من هذا وأخبريني مادينك ؟ فقلت : يا بني أما تعرفني ! فقال : وكيف لا اعرفك ! فقلت : ولم تسألني عن ديني وأنت تعرفني وتعرف ديني ! فقال : كل ما كنا فيه باطل، والدين مانحن فيه الان ، فأعظمت ذلك وعجبت منه ، فلما رآني كذلك خرج وتركني ... ثم عاد فدق الباب داق فخرج إليه فإذا برجل يسأله هذه القادمة عليك تحسن ان تصلح من أمر النساء شيئا فسألني فقلت نعم فقال : امضي معي ، فمضيت فأدخلني دارا فإذا امرأة تطلق فأقمت حتى ولدت غلاما ..."(الطبري، 1998م، 255/12).

فبعد ولادتها سألتها عن والده فقالت : " اني امرأة هاشمية وإن هؤلاء القوم أتونا ، فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعا ، ثم اخذني رئيسهم ، فأقمت عنده خمسة أيام ، ثم أخرجني ، فدفعني إلى أصحابه ...فدعاهم رئيسهم القرمطي، وسألهم عن خبرهم فخبروه ، فقال تكون لكم أربعتكم ، فأخذوني ، فأنا مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما أدري ممن هو هذا الولد منهم !..."(الطبري، 1998م،256/12) وسؤال المرأة بعد

ولادتها والجواب عليه يوضح لنا إلى أي حال وصل هؤلاء القرامطة ، فحتى ما استندوا عليه في بداية دعوتهم من شعارات كالدعوة الى آل البيت، كانت فقط للوصول إلى أهدافهم ، وقصة هذه المرأة التي ولدت - هاشمية الأصل - توضح اساس معتقدهم بترك العبادات والمحظورات ، وسمة مجتمعهم القائم على الاباحية والشيوع في النساء والمال .

مع الخلافة العباســـــية: تميزت علاقة القرامطة بالخلافة العباسيَّة بالعداء والصراع، ولا توجد في نصوص الطبري إشارات إلى نشاط عسكري كبير لحمدان قرمط وأتباعه في سواد الكوفة، بل كانت هناك انتفاضات صغيرة تمكنت الدولة من قمعها بسهولة. وفي هذا السياق، ذكر الطبري نقلاً عن محمد بن داود أنه قال:" فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة، وأنهم قد أحدثوا دينا غير الإسلام، وأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم على دينهم، وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان.. "(الطبري، 1998م،210/12).

في عام(284 هـ /897 م)، حدثت انتفاضة صغيرة تم قمعها من قبل السلطة، حيث تم القبض على مجموعة من القرامطة. اعترف هؤلاء بأن هاشم الكاتب كان يتواصل معهم، مما أدى إلى القبض عليه وحبسه في المطامير (الطبري، 1998م، 233/12)، وقد يعود السبب في ذلك إلى سياسة المعتضد بالله، الخليفة القوي الذي تولى الحكم في عام 279 هجري. فلم يكن ليقبل بانتشار أي انتفاضة، مما جعل خوف زعماء القرامطة من الخليفة كبيرًا، وقد ذكر سلف زكرويه [8] بأنَّه قضى أربع سنوات مختبئاً[9]، ولم يجرؤ على الظهور في حياة المعتضد. ولكن بعد وفاة الخليفة في عام 289 هجري، بدأ نشاط قرامطة الشام في نفس العام. وقد تولى أولاده قيادة الدعوة بعده، حيث قاد اثنان منهم قرامطة الشام بشكل متتابع (الطبري، 1998م، 272/12).

أما بالنسبة لمصير حمدان الأشعث، فقد اختفى في ظروف غامضة. وبما أن اعتمادنا على الطبري في تتبع الدعوة الأولى لقرامطة سواد الكوفة، فإن معلوماته حول هذا الموضوع محدودة، لينقلنا بعد سنوات إلى ثورة قرامطة الشام بقيادة زكرويه، الذي اضطر إلى التخفي لفترة من الزمن.

فما الذي دفعه إلى ذلك؟ وكيف كان تنظيمه للثورة في الشام؟ وما هو موقف الخلافة العباسية من كل هذه الأحداث؟

المبحث الثاني ــ آل زكرويه والمواجهة العسكرية مع الخلافة العباسية:

برز آل زكرويه كقوة بارزة استطاعت استغلال الدعوة الإسماعيلية لتعزيز نفوذها في منطقة سواد الكوفة، ومن ثم الانتقال إلى بادية الشام. حيث قادوا حربًا شرسة ضد أعدائهم، مما أدى إلى حدوث العديد من الأزمات على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. نتيجة للإخفاقات المتكررة التي واجهها زكرويه في العراق، اتجهت أنظاره هذه المرة نحو بادية السماوة، [10] الواقعة بين الكوفة ودمشق، حيث بدت الظروف هناك ملائمة لنشر دعوته.

أرسل زكرويه أبناءه للقيام بمهمة الدعوة، حيث تنكروا بزي التجار وتوجهوا إلى مجموعة من قبيلة كلب التي كانت تعمل على شق طريق يمر عبر بادية السماوة بالقرب من تدمر. وبعد قضاء فترة معهم في البيع والشراء، ادعوا أنهم من نسل آل البيت، وأوضحوا أنهم ملاحقون من قبل العباسيين وأنهم جاءوا للجوء إليهم. وقد رحب الكلبيون بطلبهم، ولكن بعد فترة، كشفوا عن معتقداتهم الحقيقية وبدأوا يدعونهم لاعتناق المذهب القرمطي. لم يستجب لهم أحد من الكلبيين باستثناء فخذ يعرف ببني العُليص، وفي أواخر عام(289 هـ /902م) بايع العليصيون أبا القاسم يحيى بن زكرويه (الطبري، 1998م،251/12).

.ثورة صاحب الناقة (289-290هـ/902-903م):

تدور الخلافات الحقيقية حول هوية النَّسب الإسماعيلي الذي ادعاه الإخوان وفقًا للطبري، يُعتبر اسم عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأكثر شيوعًا عند الحديث عن نسبهما المزعوم، فقد عرّف صاحب الناقة نفسه بأنَّه محمد بن عبد الله، بينما أدَّعى صاحب الشآمة أنَّه أحمد بن عبد الله، ويؤكد الطبري أن كِلا الأخوين هما من أبناء زكرويه.

يطرح الطبري احتمالًا عندما ينقل عن صاحب النَّاقة أنَّه أدَّعى أنَّ والده يُعرف بأبي محمود، وهو من دعاة محمد بن إسماعيل. وقد وصفه الطبري بأنه كان يرتدي ثيابًا واسعة، ويضع عمامة، ويتلثم، ولم يركب دابة منذ أن ظهر حتى قُتل، وعُرف بألقاب مثل الشّيخ (الطبري، 1998م؛ 254/12) وصاحب الجمل وصاحب النَّاقة، لأنَّه كان لا يركب إلا ناقة زعم لأتباعه أنها مأمورة، وأنَّه لا ينبغي الخروج للقتال إلا بعد أن تسير أمامهم، حتى لو هاجمهم العدو. وأكد لهم أن النصر سيكون حليفهم

طالما امتثلوا لأمر الناقة، وأظهر لهم علامة تدل على ذلك، وذكر أنها آية (الطبري، 1998م، 254/12) .

واصل صاحب الناقة تجميع أتباعه في بادية السماوة، حيث انضم إليه مجموعة من بني الأصبغ الذين أبدوا حماسة وإخلاصًا لدعوته، حتى أطلقوا على أنفسهم اسم الفاطميين، ويبدو أنَّ هذه التّحركات أثارت قلق سبك الدَّيلمي، مولى المعتضد بالله، الذي كان يتولى إدارة ناحية الرصافة وغربي الفرات، فجمع قوة عسكرية وخرج على رأسها لمواجهة خطر الناقة الذي بدأ يقترب من منطقته، ولعل هذا الوالي لم يكن يدرك قوة هذا القرمطي الذي تمكن من هزيمة جيشه وقتله عند مواجهته بعد ذلك، ودخل القرامطة مدينة الرصافة وعاثوا فيها فسادًا، حيث أحرقوا مسجدها (الطبري، 1998م، 252/12).

واصل صاحب الناقة زحفه مع جيش كبير نحو الرّقة، حيث خرج لمواجهته سبك غلام المكتفي بالله، على رأس مجموعة من الجنود، لكن سبك قُتل وهُزم جيشه، بعد ذلك قرر صاحب النَّاقة العودة إلى بلاد الشام متجهًا نحو مدينة دمشق، حيث بّدا أنَّه يفضل تجنب المواجهات المباشرة مع الجيوش العباسيَّة في شمال العراق، معتقدًا أنَّ ثورته ستُثمر بشكل أفضل في بلاد الشام، وبالتحديد في منطقة دمشق التي كانت تحت الحكم الطولوني الهش، بعد أن أسند هارون بن خمارويه [12] أمرها لطغج بن جف[13].

يبدو أن طغج قد استهان بالقرامطة في البداية، لكن المفاجأة كانت في قوتهم، مما اضطره إلى الانسحاب بما تبقى لديه من قوات إلى داخل مدينة دمشق، وقد تم حصارها ، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع في بلاد الشام في ظل عجز الطولونيين عن معالجة هذه الأزمة.

وصلت رسائل التجار إلى بغداد في منتصف جمادى الأولى من عام 290 هجري، تخبر عن حجم المعاناة التي عاشها أهل دمشق نتيجة ثورة صاحب الناقة. فقد هزم القرامطة طغج في أكثر من مناسبة، وقتل معظم جنوده رغم قلة عددهم. وبلغت معاناة أهل دمشق حداً كبيراً، مما دفع مجموعة منهم للتوجه إلى القاضي يوسف بن يعقوب، ليطلعوه على ما يجري في المدينة، ويطلبوا منه أن يتوجه بهم إلى الوزير القاسم بن عبيد الله ليخبره بذلك، فوعدهم القاضي خيراً (الطبري، 1998م،253/12)

يمكننا أن نستنتج أن الخلافة العباسية لم تبذل قصارى جهدها في مواجهة صاحب النّاقة بعد انتقاله إلى الشام في البداية. حاول المصريون التصدي لخطره في بلاد الشام إلا أنه تمكن من هزيمة معظم قواتهم، مما زاد من شدة الحصار المفروض

على مدينة دمشق، وفي تلك الأثناء، أرسل هارون جيشًا بقيادة بدر الكبير غلام ابن طولون، الذي اجتمع مع طغج لمواجهته، وقد دارت المعركة بالقرب من دمشق، وأسفرت عن مقتل يحيى بن زكرويه.

وأشار الطبري إلى سبب مقتله بقوله: " وكان سبب قتله – فيما ذكر – أن بعض البرابرة زرقه بمزراق واتبعه نفاط ، فزرقه بالنار فأحرقه " (الطبري، 1998م، 252/12)[14].

ثورة صاحب الشامة (290-291هـ/ 903م):

ذكر الطبري سبب مقتل صاحب الشامة (290-291هـ/903م) قائلاً: بعد مقتل يحيى بن زكرويه، تولى أخوه الحسين قيادة أنصاره. يمكن تفسير ذلك بأن كلا الأخوين، بعد أن كشفا عن حقيقة أمرهما للكلبيين، اتجها نحو نشر الدعوة في منطقتين مختلفتين. وعندما حققت دعوة الأخ الأكبر نجاحاً، لم يجد الأصغر بداً من الانضمام إليه لدعمه في ثورته. وعند التحامه معه، قدمه لأنصاره على أنه أخوه، مدعياً له النسب العلوي، وسارع إلى تعيينه خلفاً له، مما أثار غضب شيوخ بني العليص الذين رفضوا هذا القرار، ويبدو أن حداثة سنه، حيث كان عمر ه حينها يزيد عن عشرين عاماً، كانت أحد أسباب ذلك (الطبري،1998م،252/12) .

على الرغم من مقتل صاحب الناقة، إلا أنَّ ذلك لم يحد من نشاط القرامطة في بلاد الشام، حيث واصلت الحركة جهودها في حشد الأنصار، وكان تركيزها على القبائل البدوية، مستغلة حالة التذمر السائدة نتيجة تدهور أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، في المقابل وجدت القبائل البَّدوية في هذه الثَّورات فرصة لتحسين ظروفها الاقتصادية من خلال ما تحصل عليه من غنائم، ونتيجة لذلك زاد عدد أتباع هذا القرمطي، وأظهر نشاطاً كبيراً وقدرة عظيمة على تنظيم صفوفهم. وبعد فترة قصيرة من مقتل صاحب الناقة، عاد صاحب الشامة ومن معه من القرامطة لفرض حصار جديد على مدينة دمشق، وسرعان ما تمَّ رفع الحصار بعد أن صالحه أهل المدينة على دفع مبلغ من المال، ثم انتقل القرامطة إلى حمص ودخلوها دون قتال، بعد أن فتح أهلها الأبواب لهم، وربما كان ذلك نتيجة لمراسلات معهم، ومما يعزز هذا الرأي هو عدم تعرض المدينة لأي دمار أثناء دخولهم على عكس غيرها من المناطق التي تعرضت للتدمير.

ومن على منابر حمص، أطلق على صاحب الشامة لقب المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله، ودعا لنفسه بالخلافة (الطبري، 1998م، 254/12-255)، وبمعنى آخر

نفى عن نفسه صفة المهدوية، واعتبر نفسه ممثلاً للإمام محمد بن إسماعيل ومبشراً بظهوره الموعود، ولهذا نصب نفسه أمير المؤمنين.

في بداية شهر رمضان عام 290 هجري، انضم إلى صاحب الشامة ابن عمه عيسى بن مهرويه، مدعيًا أنه عبد الله بن أحمد بن إسماعيل، ثم أطلق عليه لقب المدثر، وأخبرهم بأنه المقصود في قوله تعالى: "يا أيها المدثر". وقد جاء معه أحد غلمانه الذي لقبه بالمطوق، وكلفه بقتل أسرى المسلمين، وحدد الطبري سنوات هذه الأحداث بقوله: "وكان ذلك كله في سنة تسع وثمانين، وفي سنة تسعين" (الطبري، 1998م، 252/12).

انطلق القرامطة من حمص إلى حماة ومعرة النعمان [15]وغيرها، حيث ارتكبوا مجازر بحق سكانها، وقتلوا النساء والأطفال، ثم أرسل صاحب النَّاقة جيشًا إلى بعلبك، ويبدو أنها حاولت التّصدي لهم لكنها فشلت، مما جعلها عرضة للانتقام، حيث قُتل معظم أهلها على يد القرامطة.

واصل القرامطة تقدمهم حتى وصلوا إلى مشارف مدينة سلمية، حيث تصدى لهم أهلها ومنعوهم من الدخول. لكن صاحب الشامة وادعهم، مقدمًا لهم الأمان على حياتهم إذا دخلوا في طاعته. وعندما استجابوا له ومكنوه من دخول مدينتهم، نقض العهد وبدأ بقتلهم، وكان أول من استهدفهم هم بنو هاشم، ثم قضى على جميع سكان المدينة، ولم تنجُ حتى الحيوانات من بطشه (الطبري، 1998م،255/12) .

موقف الخليفة المكتفي بالله:

فيما يخص الدّولة العباسيّة، فقد كانت هناك مراقبة دقيقة للتطورات الخطيرة التي شهدتها بلاد الشام، وعدَّ الخليفة المكتفي بالله حركة صاحب الشامة تهديدًا لسياسة العباسيين الدينية والسياسية، خاصة بعد أن أعلن الأخير نفسه خليفة للمسلمين وبدأ في تأسيس دولة خلافة للقرامطة في بلاد الشام، فقد كان خطر هذه الحركة يُهدد مناطق النُفوذ العباسي، وكان من المتوقع أن يمتد هذا الخطر إلى العراق إذا لم يتم التصدي له.

في الوقت نفسه، أرسل أهل الشام استغاثات إلى الخليفة طالبين مساعدته لرفع الظلم الذي وقع عليهم على يد صاحب الشّامة وأخيه صاحب النّاقة، حيث عانوا من فظائع كبيرة أدت إلى مقتل العديد منهم، حتى كادوا يواجهون الفناء، ونتيجة لذلك سارع المكتفي إلى تجهيز قواته استعدادًا لحملة كبيرة لمواجهة حركة صاحب الشامة، وفي إطار استعداده، منح الجنود في الثاني من رمضان 290هـ مئة ألف

دينار دفعة واحدة، وبعد ثلاثة أيام، نصب معسكره في الشماسية، ثم خرج الخليفة إلى هناك بعد يومين، مصطحبًا معه كبار دولته وقادته وغلمانه، وبقي في معسكره لمدة أسبوع (الطبري، 1998م،257/12) مما يدل على أنه أراد إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المتطوعين للانضمام إليه.

في الثاني عشر من رمضان، انطلقت الجيوش العباسية من معسكراتها في باب الشماسية متجهة نحو الموصل لمواجهة القرامطة في الشام، وفي هذا السياق عيّن الخليفة القائد أبا الأغر خليفة بن مبارك السلمي قائدًا لجيش يتألف من عشرة آلاف مقاتل لمواجهة صاحب الشامة، وتقدم أبو الأغر نحو مدينة حلب، بينما كان صاحب الشامة في حماة وقد بلغه خبر هذا الجيش، فأرسل فرقة من القرامطة بقيادة المطوق لمواجهته، مما دفع المطوق إلى رفع الحصار والانسحاب، مكتفيًا بما حصل عليه من أموال وسلاح نتيجة هزيمته أمام جيش وصل الجيش العباسي إلى مشارف حلب في العشرين من رمضان 290 هجري، ولأن الحر كان شديدًا، لجأ أبو الأغر ورجاله إلى وادي بطنان[16]حيث خلع العديد من الجنود عتادهم ونزلوا في الماء لتبريد أجسادهم. وفي تلك اللحظة، تعرضوا لهجوم مفاجئ من القرامطة، مما جعل الجيش العباسي غير قادر على التصدي لهذا الهجوم المباغت. ونتيجة لذلك، تكبد الجيش العباسي هزيمة قاسية، حيث أبيد معظم جنوده، ولم ينجُ سوى أبو الأغر وألف مقاتل الذين تمكنوا بشق الأنفس من الوصول إلى مدينة حلب.

أما المطوق، فقد أسرع بقواته نحو حلب وفرض حصارًا عليها. لكن أبو الأغر سرعان ما خرج مع جنوده، مستعينًا بمن انضم إليهم من الأهالي، وواجهوا القرامطة معًا. وتمكنوا من دفع خطرهم أبي الأغر(الطبري،1998م، 257/12)، وفي أواخر شهر رمضان من عام 290 هجري، تمكن الطولونيون بقيادة بدر الحمامي من تحقيق انتصار كبير على القرامطة، مما أدى إلى تفكك صفوفهم وتشتت العديد منهم في البوادي، وقد أرسل بدر رسالة إلى الخليفة ليبشره بهذا النصر، فاستجاب الخليفة بإرسال فرقة عسكرية بقيادة الحسين بن حمدان، مع بعض القادة، وأمرهم بتعقب فلول القرامطة المنهزمين في البّادية(الطبري، 1998م، 257/12) .

هذا الحدث يعكس مستوى عالٍ من التنسيق العسكري بين العباسيين والطولونيين أثناء التصدي لثورة صاحب الشامة، وفيما يتعلق بتحركات الجيوش العباسية، فقد

كانت قد استقرت في الموصل، ومن ثم توجهت نحو الرقة حيث اتخذت منها مقراً لها، ومن هنا بدأ المكتفي بالله في توجيه جيش تلو الآخر لمواجهة القرامطة.

ومن الجدير بالذكر أن صاحب الشامة بدأ يتصرف كحاكم فعلي يتزعم دولة قائمة في بلاد الشام، حيث عين عمالاً له في مناطق نفوذه، وفي الوقت نفسه لم يكن العباسيون والطولونيون مكتوفي الأيدي تجاه ثورة القرامطة بقيادة صاحب الشامة، بل بذلوا جهوداً كبيرة أثرت بشكل كبير في إلحاق خسائر فادحة بهم، مما أدى إلى إرباك تحركاتهم والحد تدريجياً من قوتهم، وتجلَّى ذلك من خلال نص رسالتين تبادلهما صاحب الشامة مع بعض عماله، حيث وثق الطبري ذلك في تاريخه. الرسالة الأولى كانت تعبيرًا عن دعمه لعاملها جعفر بن حميد الكردي، حيث دعا له بالثبات في مواجهة العدو حتى يتمكن من تقديم الدعم له، وطلب منه اطلاعه على كل جديد. أما الرسالة الثانية، فكانت من عامله عامر بن عيسى العنقائي، الذي اعتذر عن تأخره بسبب وصول الكتاب إليه في وقت متأخر وانشغاله بالحرب ضد المارق سبك (الطبري،1998م،258/12).

واصل المكتفي بالله متابعة العمليات العسكرية وما آلت إليه الأوضاع على الأرض بعد مرور عدة أشهر في حرب صاحب الشامة، ويبدو أن الخليفة رأى أن الفرصة سانحة لتوجيه ضربة عسكرية قوية تقضي على خطر هذه الثورة من جذورها، وفي هذا السياق، أصدر تعليماته لوزيره القاسم بن عبيد الله بضرورة الإسراع في تنفيذ هذه الخطة، وكلفه بالإشراف على سير الحملة، وبادر الوزير إلى حشد جيش كبير وأسند قيادته إلى محمد بن سليمان الكاتب، وبعد خروج الجيش كتب الوزير إلى القادة الذين تم توجيههم سابقًا لحرب صاحب الشّامة، يأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان (الطبري، 1998م،260/12) .

كان رحيل الجيش عن الرقة قد وقع بين أواخر شهر ذي الحجة وبداية شهر ذي القعدة. ويبدو أن خطة الوزير كانت تهدف إلى استغلال أكبر عدد ممكن من القوات العسكرية، ثم العمل على توحيدها تحت قيادة واحدة، بهدف تشكيل جيش ضخم لا يستطيع القرامطة التصدي له. ويتضح من مجريات المعركة الفاصلة أن المتطوعين من أبناء القبائل العربية شكلوا نسبة لا بأس بها من العدد الإجمالي لهذا الجيش. وصلت أنباء تحركات محمد بن سليمان إلى صاحب الشامة المقيم في السلمية، فبادر إلى تجميع جيش كبير تحت قيادة أحد قادته. ثم انطلق لمواجهة الحرب، بينما تأخر هو عنهم ومعه المال ومجموعة من المقربين إليه.

أحداث المعركة الحاسمة:

التقى الجيشان يوم الثلاثاء، السادس من محرم عام 291 هجري، في موقع يبعد عن حماة بمقدار اثني عشر ميلاً. هناك، اندلعت معركة عنيفة بين الجيش العباسي وجيش صاحب الشامة. وقد شهد القتال بين الطرفين اشتداداً كبيراً، حيث أظهر جنود محمد بن سليمان شجاعة وبأساً شديدين، مما مكنهم من تحقيق انتصار ساحق على القرامطة، حيث قُتل عدد كبير منهم وأُسر بعضهم، بينما فرّ من نجا منهم نحو البّادية(الطبري، 1998م،260) .

ذكر محمد أنه غادر منطقة تُعرف بالقروانة متجهًا نحو منطقة جديدة تُعرف بالعليانة. وعندما وصل إلى هناك، كلف صاحب الشامة أحد قادته، الذي يُدعى النعمان العليصي، بقيادة ثلاثة آلاف مقاتل وعدد كبير من المشاة. سار النعمان حتى وصل إلى منطقة تُعرف بتمنع، التي تبعد عن حماة بمقدار اثني عشر ميلًا. وما إن وصل الجيش العباسي إلى تمنع حتى اندلعت المعركة مع جيش القرامطة، حيث اشتبكت ميمنة الجيش العباسي بقيادة الحسين بن حمدان مع ميسرة القرامطة. وقد تمكنوا منذ اللحظة الأولى من قتل ستمائة فارس من القرامطة، مما أجبرهم على الانسحاب حاملين ما استطاعوا من متاعهم. على الفور، تبعهم الحسين بن حمدان، واندلعت معركة جديدة، لكن القرامطة لم يتمكنوا من صد الهجوم العباسي الذي أسفر عن إبادة معظم ميسرتهم، حيث لم ينجُ منها سوى مئتي فارس. ويبدو أن هذا الاشتباك المبكر كان بمثابة الضربة القاضية التي مهدت للجيش العباسي حسم نتيجة المعركة (الطبري، 1998م،12/260-261) .

قاد ميسرة الجيش العباسي القائدان القاسم بن سيما ويمن الخادم، بالإضافة إلى عدد كبير من بني شيبان وبني تميم. اشتبك هؤلاء القادة مع ميمنة القرامطة ونجحوا في قتل عدد كبير منهم، وسرعان ما انضم خليفة بن مبارك مع ثلاثمئة فارس إلى القوات العباسية، مما ساعد في كسر ميمنة القرامطة، في تلك الأثناء هاجم النعمان العليصي قلب الجيش العباسي، فبادر محمد بن سليمان إلى حشد القلب والميمنة واصطدم بالنعمان ومن معه، وتمكنوا من هزيمتهم، بعد ذلك، طارد الحسين بن حمدان ومن معه فلول القرامطة المنهزمة، واستمروا في مطاردتهم لمسافة خمسة أميال. أما محمد بن سليمان، فلم يبتعد أكثر من نصف ميل عن ساحة المعركة، خوفًا من وجود كمين للقرامطة، حيث كان على دراية بأساليبهم. ومن هذا الموقع، أرسل عيسى النوشري فرقة من الجنود وأمرهم بالمرابطة لحماية مؤخرة الجيش

من أي هجوم مفاجئ. ظلوا في هذا الوضع حتى المغرب، حيث صلوا ثم أرسلوا طلائع لاستكشاف الطريق، وبعدها أقاموا معسكرهم وبقوا على هذا الحال لمدة ثلاثة أيام استراحوا خلالها (الطبري، 1998م،261/12) .

بعد ذلك، قرر محمد بن سليمان التوجه إلى سلمية للقبض على صاحب الشامة بعد أن تبين له أنه مقيم هناك مع بعض خاصته، وحثّ محمد بن سليمان الوزير على مكافأة جميع القادة وسائر بطون العرب من بني شيبان وتغلب وبني تميم، نظرًا لدورهم الكبير في تحقيق النصر.

أما صاحب الشامة، وبعد أن قُتل آل بيت المهدي في سلمية، وعندما وصل إليه خبر هزيمة جيشه، جمع ما لديه من مال وأعطاه لأخيه أبو الفضل، وأمره بالتوجه إلى البادية ليختبئ هناك حتى تتضح الأمور من جديد. ويبدو أنه لم يفقد الأمل في إمكانية جمع ما تبقى من قواته حتى يتمكن من إعادة بناء قوته مرة أخرى.

غادر صاحب الشامة ومعه غلامه الرومي وابن عمه المدثر وغلامه المطوق، وتوجهوا نحو الكوفة، واستمروا في مسيرهم حتى وصلوا إلى بلدة الدّالية، التي تقع على نهر الفرات جنوب مدينة الرحبة، وفي هذا المكان نفد ما كان لديهم من زاد فأرسل أحد أتباعه ليحضر لهم ما يحتاجونه، لكن مظهر هذا القرمطي لفت انتباه الجنود المتواجدين هناك، وعندما سألوا عنه تردد في الإجابة، مما دفعه إلى إبلاغ متولي ناحية الدالية المعروف بأبي خبزة عن هذا الرجل، واستجوبه أبو خبزة وأقرّ بأنّه من أتباع صاحب الشّامة وأخبره بمكانه، فتوجه أبو خبزة مع جنوده وألقوا القبض عليه ومن معه، ثم نقلوهم إلى أحمد بن محمد بن كشمرد، متولي ناحية الرحبة ومنطقة غربي الفرات، ساروا بهم جميعًا إلى المكتفي بالله في الرقة، ويبدو أن ابن كشمرد كان من عمال القاسم بن سيما، الذي تولى إدارة هذه الناحية حتى يعود القاسم بن سيما من انشغاله مع محمد بن سليمان في حرب صاحب الشّامة (الطبري،1998م،260/12) .

نهاية صاحب الشّامة وأتباعه القرامطة:

في يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر محرم عام 291 هجري، دخل صاحب الشامة مدينة الرقة، حيث ظهر للناس وهو يرتدي برنسًا من الحرير ودراعة، بينما كان المدثر والمطوق يركبان جملين أمامه، وقد أمر الخليفة المكتفي بالله بحبسهم، وخلع على وزيره القاسم تقديرًا لحسن تدبيره ونجاحه في تحقيق النصر، وفي الأول من شهر صفر، غادر الخليفة الرقة متجهًا إلى بغداد، مصطحبًا

معه من العساكر والقادة وأرباب الدولة، بالإضافة إلى صاحب الشامة والمدثر والمطوق وغيرهم من أسرى القرامطة. وكلف القائد محمد بن سليمان بمهمة تعقب من تبقى من أنصار صاحب الشامة.

ويصف لنا الطبري الموكب الذي أعده الخليفة المكتفي بالله لدخول بغداد مع أسرى القرامطة، حيث كان الهدف من ذلك إظهار قوته وعظمته في القضاء على هذا الخطر. فقد تم حمل صاحب الشامة على كرسي منصوب على ظهر فيل، بلغ ارتفاعه ذراعين ونصف، ولتسهيل عبور الفيل، تم هدم طوق الباب الذي مر من خلاله. أما الخليفة، فقد قدم باقي أسرى القرامطة أمامه. وبعد عشرة أيام، عاد محمد بن سليمان بعد أن أنهى مهمته في تعقب القرامطة، حيث تمكن من القبض على واحد وسبعين منهم، وكان بينهم عدد من أعيان صاحب الشامة وقادته. وبعد ذلك، سار الجميع إلى قصر الخليفة بالثريا، حيث تم تكريم محمد بن سليمان ومن معه من القادة(الطبري، 1998م، 264/12) .

يصف الطبري تفاصيل مراسم إعدام صاحب الشامة والقرامطة قائلاً: " أمر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي، تكسرها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، وارتفاعها نحو من عشرة أذرع ، وبني لها درج يصعد منها إليها ... ولما كان يوم الاثنين لسبع يقين من شهر ربيع الاول أمر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكة التي أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلق كبير لحضورها ، فحضروها ...وجي بالقرمطي المعروف بصاحب الشامة ، ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر ... فصعدا بهما الى الدكة واقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون من هؤلاء الاسارى ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحدا بعد واحد...فلما فرغ من هؤلاء قدم المدثر ، فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ، ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوي فغشي عليه ، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووضع في خواصره وبطنه ، وكبر من على الدكة ، وكبر سائر الناس ... فلما كان من غد هذا اليوم حملت رؤوس القتلى من المصلى الى الجسر ، وصلب بدن القرمطي في طرف الجسر الاعلى ببغداد ، وحفرت لأجساد القتلى في يوم الاربعاء آبار الى جانب الدكة ، وطرحت فيها وطُمت ، ثم امر بعد أيام بهدم الدكة ففعل"(الطبري، 1998م،264/12).

ثورة أبو غانم:

استغل زكرويه انشغال العباسيين في حرب حركة الخليجي الانفصالية في مصر، وانضم إليه في هذه المرحلة القاسم بن أحمد الداعية، الذي كان قد خلفه صاحب الشامة على أنصاره في الشام قبل رحيله، لكن أنصاره انتفضوا عليه، مما اضطره للالتحاق بزكرويه الذي عاتبه على ذلك، واختار زكرويه رجلاً آخر يكنى بأبي غانم، الذي توجه بدوره في بداية عام 293ه إلى قبيلة كلب، متخذاً لنفسه لقب "نصر" لجذب أكبر عدد من الأنصار، وانضم إليه رجل يُعرف بمقدام الكيال، الذي جلب له العديد من المؤيدين.

خلال فترة قصيرة، انفجرت ثورة أبو غانم في نواحي الدَّالية، وقرر التوجه إلى دمشق مستغلاً غياب أحمد بن كيغلغ والي دمشق، وقام بقتل صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ على دمشق، بعد أن منحه الأمان المزعوم، كما قتل الأسرى، لكن السّكان تصدوا له ومنعوه من دخول المدينة مما دفعه لتغيير وجهته نحو طبرية، حيث دخل المدينة وعاث فيها فساداً، وقتل عدداً كبيراً من سكانها (الطبري،1998م،268/12) .

بعد ذلك، اتجه القرامطة إلى هيت [17] وتمكنوا من قتل مئتي شخص بين رجال ونساء وأطفال، وكان الخليفة قد أرسل جيشاً إلى مدينة هيت بقيادة محمد بن إسحاق بن كنداج، ثم انضم إليه مؤنس الخازن (الطبري، 1998م.269/12).

وعندما سمع أبو غانم بذلك انسحب نحو عيني الماء الدمعانة [18]والحالة[19] وفي تلك اللحظة كتب الخليفة إلى الحسين بن حمدان ليغادر الرحبة ويتجه نحو القرامطة حتى يتمكن هو وابن كنداج من محاصرتهم معًا، في هذه الأثناء، أدرك الكلبيون أتباع أبي غانم خطورة الموقف، فقام أحدهم الذي يُدعى الذئب بن القائم بالهجوم على أبي غانم وقتله، آملاً في الحصول على عفو من الخليفة، وقد استجاب المكتفي بالله لذلك وأمر بوقف الاعتداء على قومه (الطبري، 1998م،269/12) .

ثورة زكرويه (393-294هـ / 906-907م):

أرسل زكرويه القاسم بن أحمد إلى القرامطة، وعندما التقى بهم، أوضح لهم خطورة أفعالهم نتيجة قتلهم لأبي غانم مشيراً إلى أنهم بذلك قد ارتدوا عن الدين فاعتذروا له، وأخبرهم القاسم بأن وقت ظهور زكرويه قد اقترب، وأن الكوفة ستكون الهدف التالي، محدداً لهم يوم عيد الأضحى موعداً لشن هجومهم عليها،

وأمرهم بالتظاهر بأنهم في طريقهم إلى الشام ،بينما كانت وجهتهم الحقيقية هي الكوفة التي فشلوا في السيطرة عليها(الطبري، 1998م،269/12) .

تواصل إسحاق بن عمران، والي الكوفة، مع المكتفي بالله طالباً دعمه لصد خطر القرامطة الذي أصبح يهدد منطقته. فندب الخليفة عدداً من القادة وأرسل معهم مجموعة من الغلمان الحجرية[20] وقد أرسلهم على دفعات دون تعيين قائد لهم، عندما تحرك الجيش العباسي استقر القرامطة في عين الرحبة، وقرروا المضي نحو زكرويه لإخراجه من مخبئه حتى يتولى قيادة أنصاره والإشراف على دعوته، سار القاسم بن أحمد نحو قرية الدرية[21] حيث أخرج زكرويه وسار معه إلى قرية الصوأر، وهناك قدمه لأنصاره القرامطة على أنه سيدهم ومولاهم الذي ينتظرونه، واستقبلوه بحفاوة وأطلقوا عليه لقب ولي الله وعظموه وسجدوا له، وأكد زكرويه بحضور خاصته ودعاته وأنصاره على فضل القاسم عليه ومكانته العالية لديه، ليتمكن من جذب أكبر عدد من الأنصار إلى حركته، مشيراً إلى رموز ودلالات وردت في القرآن الكريم، زاعماً أنها نزلت فيه دون غيره، مما ساعده في تحقيق ما أراد، ثم توجه إلى سقي الفرات لجذب المزيد من الناس، حيث أقام هناك مع أتباعه لمدة تقارب العشرين يومًا انشغل خلالها بنشر دعوته بين الناس، فانضم إليه خمسمئة رجل مع عائلاتهم (الطبري، 1998م، 270/12) . نلاحظ تكرار نفس الأساليب في استقطاب الجماهير. في تلك الأثناء كان الخليفة قد أرسل قادته مع قوة عسكرية إلى الكوفة لمساعدة واليها إسحاق بن عمران، فأرسل إليه مجموعة من قادته، وبدأ القتال بين الطرفين في اليوم الحادي والعشرين من ذي الحجة 293هـ، حيث التحمت القوات وأظهر جيش الخليفة ثباتًا في المعركة، وكان النصر حليفهم في البداية، بينما كان زكرويه قد كمن خلفهم، وعندما بلغ منتصف النهار هاجم السواد ونهبه، وقد برز دور الغلمان الحجرية الذين قاتلوا بشجاعة وصبر، حيث قُتلوا جميعًا وعددهم مئة (الطبري، 1998م،271/12) .

كانت نتيجة المعركة هزيمة كبيرة للجيش العباسي وخسائر فادحة في الأرواح، حيث قُدّر عدد القتلى بألف وخمسمائة وفقًا لرواية الطبري، الذي وصف هول الهزيمة **قائلاً**: " ولم يفلت من أصحاب السلطان إلاَّ من كان في دابته فضل فنجا به، أو من أثخن بالجراح فطرح نفسه في القتلى ، فتحامل بعد انقضاء الوقعة حتى دخل الكوفة " (الطبري، 1998م،271./12) .

جمع القرامطة الغنائم، بما في ذلك ثلاثمائة جمازة، كانت قد أُرسلت من قبل المكتفي بالله إلى قادته قبل فترة قصيرة، بالإضافة إلى خمسمائة بغل، ونتيجة لذلك تعززت قوة زكرويه وأتباعه بما جمعوه من الغنائم، وقرروا الرحيل نحو نهر المثنية الذي يبعد خمسة أميال عنهم هربًا من روائح القتلى التي أزعجتهم (الطبري، 1998م،271/12).

استهداف قوافل الحجيج:

كان لهزيمة الخليفة المكتفي بالله تأثير كبير على نفسه وعلى الناس من حوله، ولتدارك الموقف أسرع الخليفة في إرسال جيش جديد إلى الكوفة لمواجهة زكرويه وتأمين الحجيج، وقد شمل هذا الجيش مجموعة من القادة، بالإضافة إلى ألف مقاتل من أعراب بني شيبان والنمر، كما تم تخصيص أرزاق لكل من شارك في هذه الحملة، وأسندت قيادة الجيش إلى محمد بن إسحاق بن كنداج، وفي هذه الأثناء، غادر زكرويه نهر المثنية وكان يعتزم التعرض للحجيج (الطبري، 1998م، 272/12) .

القافلة الأولـــــــى:

واصل زكرويه رحلته حتى استقر في عين سلمان، التي تبعد أربعة أميال عن واقصة1. هناك، بدأ في انتظار وصول القافلة الأولى للحجيج. في هذه الأثناء، تابع جيش محمد بن إسحاق تقدمه حتى وصل إلى عين الطف، حيث وصلته أنباء عن نزول القرامطة في ن بسلمان. فغادر على الفور موقعه، وأرسل بسرعة علان بن كشمرد مع مجموعة من الفرسان إلى[22] وفي السابع من محرم 294 هـ، وصلت القافلة إلى وجهتها، لكنها سرعان ما غادرتها بعد أن حذرها الأهالي من خطر زكرويه الذي كان يقيم في سلمان وينتظر قدومهم ليهاجمهم، نتيجة لذلك تمكنت القافلة من الهروب من خطر القرامطة لكن زكرويه اتهمهم بإبلاغهم، فقام بقتل عدد من العلافين هناك وأحرق العلف، وتحصن أهل المنطقة في حصنهم، وبقي زكرويه هناك عدة أيام قبل أن يغادر نحو زبالة (الطبري، 1998م، 274/12) .

القافلة الخراسانية (الثانية):

كان زكرويه يستخدم أساليب خبيثة، وكانت جرائمه ضد قوافل الحجاج بلا حدود، وذكر الطبري أنه عندما اعترض القافلة الخراسانية في العقبة على طريق مكة حدث اشتباك بينهم، وعندما عجز القرامطة عن السيطرة عليها لجأوا إلى الحيلة، فسألهم زكرويه: ": " أفيكم السلطان ؟ قالوا : ليس معنا سلطان ، ونحن الحاج ، فقال لهم : فامضوا فلست أريدكم ، فلما سارت القافلة تبعها فأوقع بها ، وجعل

أصحابه ينخسون الجمال بالرماح ويبعجونها بالسيوف ، فنفرت ، واختلطت القافلة ، فقتلوا الرجال والنساء ، وسبوا من النساء من أرادوا، واستولوا على ما كان في القافلة ". (الطبري، 1998م، 274/12) .

وقد التقى بعض من فر من هذه القافلة بعلان بن كشمرد، فسأله عن الأخبار، فأخبره بما حدث للقافلة الخراسانية. لكن علان قرر عدم المجازفة وعاد على الفور، تاركًا القافلة تواجه مصيرها بمفردها (الطبري،1998م،274/12) .

القافلة الثالثة:

بعد يوم من نكبة القافلة الخرسانية وصلت القافلة الثالثة إلى العقبة، والتي تضم مجموعة من القادة مثل المبارك القمي، وأحمد بن نصر العقيلي، وأحمد بن علي بن الحسين الهمذاني، ورغم تحذيرات السّلطان للقافلتين الثانية والثالثة من الخطر الذي يهددهم، وطلبه منهم اتخاذ الحيطة والحذر، إلا أنهم لم يستمعوا ولم يأخذوا التحذيرات على محمل الجد، ومن المحتمل أنهم وصلوا متأخرين.

التقى القرامطة بالعقبة، حيث قاموا بطمر آبار الماء باستخدام جثث الإبل والدواب التي قتلوها أثناء هجومهم على القافلة الخرسانية، وعندما هاجمهم القرامطة انقسمت القافلة السلطانية [23] إلى مجموعتين: الأولى بقيادة أبي العشائر في المقدمة، والثانية بقيادة المبارك القمي التي تولت الدفاع عن الساقة، اقتربت القافلة السلطانية من تحقيق النصر لولا الثغرة التي اكتشفها القرامطة في الساقة، مما دفعهم لتكثيف هجومهم عليها، وسرعان ما انهارت القافلة وتم قتل جميع أفرادها باستثناء من تم استعبادهم، تم جمع القتلى ووضعهم فوق بعضهم البعض حتى تشكلت كومة ضخمة حيث قُتل حوالي عشرين ألف شخص وهو العدد الإجمالي للقافلة، ونجا بعض الجرحى الذين اختلطوا بالقتلى، فتوجهوا في الليل لكن منهم من توفي ومنهم من نجا، وكان عدد الناجين قليلاً. بينما كانت نساء القرامطة يطوفن بين القتلى يعرضن عليهم الماء، ومن تحدث إليهن تم القضاء عليه، وغنم القرامطة كميات هائلة من الممتلكات والأموال، حيث ذكر الطبري أن ما استولوا عليه من المال والممتلكات الفاخرة في هذه القافلة كان يقدر بقيمة ألفي ألف دينار، بما في ذلك أموال لبني طولون التي كانت قد صهرت وسبكت وأُرسلت مع الحجيج المصريين إلى مكة لنقلها إلى بغداد، لكن كل ذلك ضاع (الطبري، 1998م،275/12) .

والجدير بالذكر هنا أنَّ القرامطة لم يترددوا في استخدام أي وسيلة للخداع، فغدروا بالقافلة الأولى بعد أن منحوا أفرادها الأمان المزعوم، واستخدمت نساؤهم حيلة

الماء للقضاء على من تبقى على قيد الحياة، مما يدل على انعدام إنسانيتهم، بالإضافة إلى أن جماعات البدو المشاركة معهم كانت تحمل نفس الصفات.

القافلة الرابعة:

انطلق زكرويه نحو زبالة، حيث نزل هناك وأرسل الطلائع أمامه وخلفه تحسبًا من أصحاب السلطان. ثم واصل سيره إلى الثعلبية[24]، ومنها إلى الشقوق في منطقة تُعرف بالطليح، متوقعًا مرور القافلة الرابعة التي توقفت في فيد في انتظار الدعم. تجدر الإشارة إلى أن هذه القافلة تُعتبر الأكبر والأهم خلال هذا الموسم، وهو ما يتضح من العدد الكبير من أعيان الدولة وكبار رجالها الذين رافقوها من مختلف المناطق. بالإضافة إلى ذلك، كانت القافلة تحتوي على شمسة الحج، وهي مجموعة من الجواهر النفيسة التي جمعها المعتضد خلال فترة خلافته (الطبري،1998م،276/12) .

ثم توجه زكرويه إلى فيد، وعندما علم الوالي العباسي حامد بن فيروز بذلك، لجأ إلى أحد حصون المدينة برفقة نحو مائة رجل كانوا معه في المسجد، وقام بتعزيز الحصن الآخر بالرجال، وعندما فشل زكرويه في اقتحام الحصن لجأ إلى الحيلة، حيث عرض على السكان الأمان إذا سلموا له عامل المدينة والجنود الذين فيها، وعندما رفضوا عرضه، وأدرك أنه لا يستطيع مواجهة أهلها، انصرف إلى النباح [25] إلى حُفير أبي موسى الأشعري[26].

الخليفة المكتفي بالله والقضاء على ثورة زكرويه:

تأثر الناس والخليفة بما فعله القرامطة بالحجيج، وفي الأول من ربيع الأول عام 294 هجري، أرسل المكتفي بالله جيشًا كبيرًا لمواجهة زكرويه بقيادة وصيف بن صوارتكين، حيث انضم إليه عدد من القادة.

عبر الجيش العباسي من القادسية متجهًا نحو طريق خفان، واندلعت معركة عنيفة بين الطرفين استمرت حتى حلول الليل، مما جعلهم يقضون الليل في حالة من الترقب خشية أن يباغتهم أحدهم، ثمَّ استؤنف القتال في صباح اليوم التالي وأسفر عن هزيمة القرامطة حيث قُتل منهم عدد كبير.، وخلال المعركة تمكن أحد الجنود من من توجيه ضربة قوية على رأس زكرويه أدت إلى إصابته بجروح خطيرة، وتم القبض على زكرويه مع مجموعة من أقاربه بما في ذلك كاتبه وابنه، بينما أُطلق سراح الأسرى الموجودين في معسكر القرامطة، توفي زكرويه بعد خمسة أيام متأثرًا بجراحه، ولتجنب فساد جسده تم شق بطنه وإخراج أحشائه، ثم تم نقله إلى بغداد بهذه الهيئة (الطبري، 1998م، 276/12) .

بشكل عام، نجحت الدولة العباسية بعد مقتل زكرويه في إنهاء وجود القرامطة في العراق وبلاد الشام، وأظهرت العمليات العسكرية أن القوات العباسية كانت ضعيفة في مواجهة القرامطة، وكانت معنوياتها منهارة، ولولا بعض القادة الذين تمكنوا من قيادتها بشكل جيد، لكان القرامطة قد دخلوا بغداد. كما تأثرت التجارة بشكل كبير، حيث سيطر القرامطة على الطرق التجارية الحيوية التي تربط شرق العالم الإسلامي بغربه، وخاصة طريق الشام بالعراق، ومن أبرز الآثار السلبية لتحركات زكرويه كانت قطع طريق الحجاج، مما أدى إلى نتائج كارثية على هيبة الخلافة العباسية كحامية للحرمين الشريفين والحجاج، مما أثر سلبًا على مكانتهم الدينية والسياسية.

الخاتمة:

تتجلى أهمية تاريخ الطبري في كونه من تأليف الشيخ محمد بن جرير الطبري، الذي يُعد من أبرز المؤرخين المسلمين، كما يُعد تاريخه من المصادر الرئيسية التي تعزز ارتباطنا بتراثنا التاريخي الإسلامي، ومن بين الموضوعات البارزة التي تناولها الطبري في مؤلفه(تاريخ الرّسل والملوك) هو تاريخ قرامطة الشام، التي عاصرها في الزّمان والمكان، وقد أسفر البحث عن عدة نتائج، منها:

1-في البداية كان القرامطة جزءًا من الحركة الإسماعيلية العامة، لكنهم انشقوا عنها واختلفوا معها في العقائد والسياسة، وكان العامل الحاسم في تحديد العلاقة بين الطرفين هو المصالح، وقد استخدموا الوتر الشيعي وفكرة المهدي الموعود كأهم العناصر الإسلامية الحساسة لتحقيق أهدافهم حتى يستقر لهم الأمر، ولم تسلم حتى آل البيت من المجازر التي ارتكبوها في سلمية وغيرها، حيث قُتل المئات من الهاشميين.

2-أشار البحث إلى الجذور التاريخية لقرامطة الشام، الذين نشأوا في أرض السواد بالعراق (أراضي الجزيرة الفراتية). وذكر الطبري أن بداية تاريخهم كانت في سنة (278 هـ)، حيث تضمن البحث العديد من الأفكار التي دعا إليها القرامطة والتي تمكنوا من خداع الناس بها.

3-برز آل زكرويه كقوة تمكنت من استغلال الدعوة الإسماعيلية لتعزيز نفوذها في سواد الكوفة، ومن ثم الانتقال إلى بادية الشام حيث قادوا حروبًا عنيفة تسببت في العديد من المحن على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لم يشكلوا كيانًا

ثابتًا بل كان همهم الأساسي هو الغزو والنهب، ولم يطرأ أي تغيير على عاداتهم المتخلفة.

4-يتضح أن هناك آثارًا اجتماعية خطيرة ظهرت في المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، حيث نشأت فجوة عميقة بين أفراد المجتمع نتيجة الغزو الفكري المتطرف الذي استهدف عقول الناس، وخاصة الشباب، وهذا الغزو كان يتعارض مع ثقافتهم الدينية السنية ويهدف إلى محاربة الإسلام.

5-أوضح البحث المذابح التي نفذها القرامطة بالتعاون مع القبائل البدوية، حيث شكلت نقطة ضعف أدت إلى انتشار الفوضى والدمار، وقاموا بمهاجمة قوافل الحجاج وسلب أموالهم ومتاعهم، ثم قتلهم، مما أثار غضب المسلمين ضدهم.

6-دخلت الدولة العباسية في صراع عسكري شديد مع القرامطة، خاصة بعد أن استولى القرامطة على المدن الرئيسية في الشام، كما تأثرت التجارة بشكل كبير حيث سيطر القرامطة على الطرق التجارية الحيوية التي تربط شرق العالم الإسلامي بغربه، مما هدد طرق الحج، وقد أسفر ذلك عن نتائج كارثية على هيبة الخلافة العباسية كحامية للحرمين الشريفين والحجاج، مما أثر سلبًا على مكانتها الدينية والسياسية، ولم تتمكن من القضاء على هذه التهديدات إلا بعد تكبدها تضحيات جسيمة من حيث الموارد البشرية والمادية.

وأخيراً توصي الباحثة بالقراءة المستفيضة لتأريخ تلك الفرق المتطرفة، وتفنيد افتراءاتها ومناهجها الهدامة من خلال اعتماد النُّصوص والمرويات الواردة في المصادر الأولية التي تدحض مزاعمها وتكشف زيف غُلوها.

الهوامش:

1- احمد بن محمد الطائي (281ه/894م): أحد القادة الامراء في العصر العباسي، عقد له المعتمد سنة (271ه/884م)، على المدينة وطريق مكة، ثم ولاه الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء وشرطة بغداد وخراج قطربل ومسكن ، ظهر القرامطة في أيامه .ينظر ،:خير الدين الزركلي: الاعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، 2002م،205/15 .

2- الزنج بفتح الزاي ، والزنج بالكسر ، أو المزنجة والزنج ، وهم جيل من السودان ، واحدهم زنجي .ينظر : ياقوت ، الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م ،3/ 153.

3- أورد ابن الجوزي ستة أقوال لسبب تسميتهم، أولها :أن أول من أشير إليهم بذلك المحبة محمد الوراق المقرمط، والثاني : نسبة إلى رئيس من السّواد يلقب بقرمطويه، الثالث: أن قرمطا كان غلاما لإسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه، الرابع : نسبة إلى رجل يقال له"كرمية" فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعب، ثم ادخله مذهبه، الخامس: تخفيف اسم الداعي كرمية فقيل قرمط ، السادس: نسبة إلى رجل من دعاتهم وهو حمدان الأشعث ، كان بسواد الكوفة ، وانما سمي قرمطا ؛ لأنه كان رجلا قصيرا وكانت رجلاه قصيرتان ، وكان خطوه متقاربا ؛ فسمي بهذا السبب قرمطا . ينظر : ابن الجوزي، عبد الرحمن: القرامطة، تحقيق: محمد الصّباغ، محمد، المكتب الاسلامي – بيروت، ط5، 1981م، ص 38-44.

4- بلاد الشام عند الجغرافيين هي صقع واسع يحده من الشرق البادية من إيلة الى الفرات ،ومن الغرب البحر المتوسط ، ومن الشمال بلاد الروم ، ومن الجنوب البحر الاحمر وعريش مصر ، واتبع العرب نظام الاجناد في بلاد الشام وهي :جند فلسطين، وجند الاردن ، وجند الشام ، وجند حمص ، وجند قنسرين .ينظر : الاصطخري ، اسحاق بن ابراهيم ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحيني ، طبع وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1961م، ص43؛ سهيل زكار ، أخبار القرامطة في الاحساء – الشام - العراق- اليمن، دار الكوثر، الرياض ،1989م،ص 135،.

5- السواد : لفظ استخدمه العرب الفاتحون بادئ الامر للدلالة على العراق ، وبالتحديد القسم الجنوب من سهول نهري دجلة والفرات ، ومع مرور الزمن صار يطلق على الاحياء والمناطق المزروعة المحيطة بالمدن، وجاءت هذه التسمية نسبة الى خصوبة هذه الارض التي كان يطغى عليها اللون الاخضر ، وحينما عينوا خضرة هذا الاقليم سموه سوادا ،.ينظر: الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 3/ 272 – 275؛ خوزستان : نواحي الاهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان .المصدر نفسه، 404/2.

6- حمدان قرمط: لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه ، وكان ابتداء أمره أكاراً من أكرة سواد الكوفة، وإليه تنسب القرامطة. ينظر : البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد المجيد ، الناشر ، محمد علي صبيح واولاده ، ص 283.

7- النوروز : ويقال النيروز ، لفظ فارسي معرب ، وهو أول يوم في السنة الجديدة عند نزول الشمس أول الحمل ، ومعناه يوم جديد .ينظر : الجواليقي ، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1995م ، ص 340.

8- زكرويه بن مهرويه (ت: 294ه/907م) : من دعاة الاسماعيلية الأوائل وثائر قرمطي في العراق .ينحدر من ضواحي الكوفة، وكان من أوائل الدعاة الذين دربهم عبدان، وعندما وقع انشقاق عام 286ه/899م في الاسماعيلية انحاز بداية إلى عبد الله المهدي القائد المركزي للدعوة في سلمية ، ودبر مقتل المنشق عبدان، ثم تخفى بعد ذلك. ينظر : فرهاد دفتري ، معجم التاريخ الاسماعيلي ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية ، بيروت ، 2016.م، ص 156 .

9- يذكر ياسر جاسم سبب اختفاء زكرويه بالإضافة الى مطالبة العباسيين له، والخوف من انصار عبدان الذين ظلوا يترصدونه ،لإسهامه المباشر في اختفاء حمدان وقتل صهره عبدان ، فأختفى بعد مقتل عبدان في جب تحت الارض .ينظر : ياسر جاسم ياسر ، القرامطة والعدالة الاجتماعية ، دار ضفاف للنشر والطباعة ، ص 50 .

10- بادية السماوة : لفظ اطلق على البادية التي كانت تقع بين الكوفة والشام ، ولعل الادق هي التي تقع بين العراق والشام .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 245/3 .

11- نتفق مع ما ذهب إليه سهيل زكار أنه اراد من وراء ذلك إثبات صدق دعوته من خلال التمثل بقصة ناقة النبي – صلى الله عليه وسلم – المأمورة بالمدينة المنورة في ختام رحلة الهجرة . ينظر : زكار، الجامع في اخبار القرامطة ،دار الكوثر ، الرياض ،1989م، ص 138.

12- أبو موسى هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رابع حكام الدولة الطولونية ، تولى الحكم وهو في الرابعة عشرة من عمره بعد أخيه جيش بن خمارويه ، حاربه الخليفة الاموي فضعف أمره ، فقتله عماه : شيبان وعدي في صفر سنة 292ه ، وكانت دولته ثمانية اعوام وأشهر، وقتل شابا .الذهبي، عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز، سير اعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2001م ، 18/14.

13- طغج بن جف: الفرغاني والد الاخشيد محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية في مصر ، تولى امارة دمشق خلال عهد خمارويه بن أحمد ، واستمر على ذلك في عهد ولديه الى أن اشتد خطر القرامطة في الشام ، فعزل سنة 290هجري ، وولي بدلا عنه بدرا الحمامي، وعاد بعدها إلى مصر ولمّا اجتاحت الجيوش العباسية مصر انضم إليها، وبعد انتهاء الحملة العباسية عاد إلى الشام، ثم اتجه إلى بغداد حتى وفاته . ينظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل ابن آيبك ، الوافي بالوفيات ، نشره ، هلموت ريتو ، مطبعة الدولة ، اسطنبول، 1931م ، 260/16؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان ، تحقيق : احسان عباس دار صادر ، بيروت ، 1972م ، 57/5.

14- النفاطة: قارورة يوضع فيها النفط وبعد أن تشتعل يتم قدفها .

15- معرة النعمان: مدينة قديمة مشهورة تقع إلى الشمال من حماة وإلى الجنوب الشرقي من حلب ، وتعد من أعمال حمص ، وهي مدينة كثيرة المباني والاسواق، وتشتهر بوفرة البساتين .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ،156/5.

16- وادي بطنان : يقع الى الشرق من حلب .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ، 927/1.

17- هيت: مدينة تقع على شاطي الفرات الغربي إلى الشمال من الانبار وتشتهر بالنخيل والزراعة .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 420-421 .

18- الدمعانة : عين ماء بالشام يملكها بنو بحر من بني زهير أحد فروع الكلبيين ، تقع الى الشمال من هيت .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 470/2.

19- الحالة تقع بجوار الدمعانة ، وذكر الحموي انها بين المدينة والشام .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ،207/2.

20- الغلمان الحجرية : طائفة من الغلمان الاتراك اختصوا في خدمة الخلفاء العباسيين والخروج في مواكبهم، وقد استخدمهم المعتضد بالله بعد أن اشرف على إعدادهم، واسكنهم في حجرات خاصة بهم داخل قصر الخلافة، فعرفوا بالحجرية .ينظر ابن الصابي , الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ،دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1958م ، ص 17.

21- قرية الدرية : تقع في نواحي الكوفة ، كانت تطل على نهر زياد المعروف قديما بنهر شيلي ، وشيلي ناحية من نواحي الكوفة : ينظر ، الحموي معجم البلدان ، 386/3 .

22- واقصة : ويقال لها واقصة الحزون ، وهي بلدة تقع الى الجنوب الغربي من الكوفة قبل الفاع ، وتعد من محطات طريق الحج العراقي . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ،5/ 353-354.

23- كان الطريق العراقي الذي تسير عليه القافلة السلطانية او القافلة الرسمية التي ترعاها الخلافة العباسية ،بعد ان تخرج من بغداد وتصل الى الكوفة ثم من الكوفة باتجاه الحجاز فتسير في اماكن عامرة ،فأول هذه المنازل القادسية ثم المغيثية ثم القرعا ثم واقصة ثم العقبة ثم القاع ثم تسير

القافلة حتى تصل زبالة ، بعد أن تكون قطعت مائتين وثمانية وأربعين ميلا. ينظر :ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1889م ، ص 125-126 .

24- الثغلبية ، من محطات طريق الحج العراقي ، وتقع بعد الشقوق وقبل الخزيمية ، ينظر: الحموي ، معجم البلدان، 2/ 78 – 79.

25- النباح : قرية في بادية البصرة على الطريق المؤدية الى مكة وهي بجوار فيد . ينظر : الحموي معجم البلدان ، 5/255-256.

26- حفير بن أبي موسى الاشعري : وتلفظ حفر ، ويقع هذا الحفير على طريق البصرة المؤدية الى مكة ، ويبعد عن البصرة مسير خمسة ايام ، اسم هذا البئر نسبة الى منشئها الصحابي الجليل أبي موسى الاشعري عبد الله بن قيس بن سليم (ت 44ه/665م) ينظر : الحموي ، معجم البلدان، 2/ 275 .